المادة والمقدسات الدينية

في نظر « هوفومار كروليم »

بقلم الدكتور اسحاق خضوري نبيه

للفلاسفة شؤون واغراض ومصطلحات لا يتسنى فهمها الا بعد الخبرة والدراسة وبعد الفهم والاطراق لتفهم مصطلحات اولئك النفر القليل الذين اشغلوا لفائف قلوبهم وافكارهم ليشقوا لنا من ذهنك نوراً سنياً يشع لنا من بعيد ، ولولا ان التفاهم مع هؤلاء بعيد وبعيد لاصبح البشر عامة متدبراً للآراء الفلسفيه ومتقبلا لها اي قبول وهذ امر نسبي يتحقق في غير ذوي العاهات والامراض ممن طبع على قلوبهم وهم لايعقلون .

حسبك ان تنظر شبح هذا الفيلسوف مرتسما في طي كتابه ومستعيناً على نبرة قلمه يصورلك آراءه واخيلته فطوراً مصيب واخرى فاشل وان فشل فهرب بفشله بعيداً عنالكنه سرعان ما يعود معترفا بخطئه محذراً تلاميذه ومحبيه من ان ينخدعوا بتلك النظرة الفاشلة وهذا هو الرجل الصحيح الذي يطلب العلم للعلم لا للشهرة والسلطة والكبرياء الزائف ، واناان وجدنا امثال « هو فومار كروليم » في دوره وعصره فلم نجد الا شبحه وفكره ولسانه وقلمه لأن جميع اولئك المفكرين غالة عليه في كل ادوار حياته الثلاثة التي قطعها بالنفي تارة وبالاصفاد اخرى وباطلاق سراحه ورفع ستار العبودية عنه واطلاق الحرية بين يديه ، فيا ترى متى فكر في المادة والمقدسات الدينية ، اكان ذلك في سجنه ام في نفيه وتبعيده ام في اطلاقه وفتح ابواب الحرية بين يديه وفي وجهه نعم في زمن الحرية التي استطاع بها ان يعبر عما دار في خلده وشعوره في عصر شبابه الثائر وايام ثروته وغناه فقد فكر في المادة فادرك بعدم خلودها وفنائها الى الزوال والذهاب اذ انه شرع قاعدة فكرية قوية الدعائم من وحدة الكون واتحادها في هذه الاجسام التي تكون معرضاً للعرض وماتلك الوحدة الا اتصال نفسي يتحقق في كل مادة وفي كل جسم وفي كل روح شاعرة حساسة وفي هذه الاخيرة اقوى واظهر لقوة مفعولها واهميتها في شرح الوجود الخارجي فحكم ببقائها قبل ان يحكم (ارميشوب وارسي) في اهمية خلود النفس والتنويم المغناطيسي وبعد ان سلمنا ان هذا الفيلسوف الوحيد في عصره واوانه الا انه خامل الذكر من نواحي عدة اهمها انه يكره اظهار نفسه والاهتمام بشؤونها ولذلك تجده في المبامه وشعوب الجبال مع زمرة من محبيه يتلو عليهم ويحفظون ، ويقص لهم فيكتبون ، ولذلك تجد (هوفومار كر وايم) خامل الذكر لبعده عن المجتمعات ولعدم اهميتها في نظره ، ولذلك تجده عند منفاه لم يتأثر بوحدة نفسه في ذلك البيت المظلم ، وعجيب ذلك بعد ان تربى في البيداء وفضائها الجميل الواسع كيف استطاع على سكنى تلك الغرفة المظلمة . نعم الهمته عن الفضاء واكمال نظريته وارسالها الى (ارميشوب وارسي) ليأخذ منها حظه ونصيبه في خلود النفس والتنويم المغناطيسي الذي له السلطة على النفس الضعيفة التي تكون دون نفسه وقد تم له تطبيق تلك النظرية على احسن مايرام اذ وجد المادة خلف كيان خاص لا ربط له مع اية صفة مميزة عن التوصل والتمسك بسائر الاديان غير الاديان الثلاثة التي هي اكثر انتشاراً من سواها واقرب الى المعقول وادنى الى الواقع إذ أن الوحدة الوجودية المكيفة بالصورة المجردة غير كاف استقلالها بنفسها وغير موفقة كما تتوفق المادة الا على حسب استقلال عقلي تام بواسطة جوهريته والجوهو لايقبل ان يوصف بالفناء والحيلولة لانها اعراض غير قابلة لاتصاف الجوهر بها اضف الى ان الوحدة ارتكازية في كل نفس ما من شأنها العدالة في الحكم والاخلاص في العمل ولولم يكن ذلك لنسبنا الى الموجد ما ينافي شأنه وذاته وقد اجمعت رواة الآراء واهل الآراء بوحدانية جامعة جميع صفات الخير والكمال ، بعيدة كل البعد عن الشر ورلتحققها ووجودها والوجودات كلها من افعال الخير ، والشرور كلها من الاعدام ، فأني اذا وقفت على هذه النظرية وجدت نفسي مثالا للخير ورمزاً الى كل فضيلة فكيف اكون في بعض الاحيان مثالا للدعارة والوحشية وانا وجود والوجود مثال وصورة من الخير فكيف اكون عدماً ووجوداً في ظرف واحد لا اتمداه الى غيره وان عالله الفيلسوف « هوفومار كروليم » في آخر

البقية على صحيفة ٧٣٠